جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

إسهامات المفسرين
وأثرها في بناء الأنموذج الحضاري الإسلامي
(الإمام الماتريدي أنموذجاً)

إعداد

د/ محمود أحمد دردير سليمان

مدرس التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الثاني

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

إسهامات المفسرين وأثرها في بناء الأنموذج الحضاري الإسلامي
(الإمام الماتريدي أنموذجاً)

د/ محمود أحمد دردير سليمان

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني: *Mahmoudsouliman.48@azhar.edu.eg*

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف إسهامات المفسرين في تشكيل النموذج الحضاري الإسلامي من خلال تفسيرهم للنصوص القرآنية، ومن بين المفسرين الذين أسهموا إسهامًا كبيرًا في بيان القواعد الأساسية للحضارات عمومًا، وللحضارة الإسلامية خصوصًا (الإمام الماتريدي) صاحب تفسير (تأويلات أهل السنة) حيث كان من المفسرين الذين ساهموا بشكل كبير في الربط بين معاني القرآن الكريم ومتطلبات التقدم الحضاري. وتظهر الفائدة من البحث أنه يكشف النقاب عن الجهود العلمية التفسيرية للإمام الماتريدي مثل الأخلاق، والاجتماع، والاتحاد، والتعاون، والشورى، والعقل، ودورها في تعزيز وحدة الأمة وازدهارها. ويتناول البحث منهج الإمام الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة، حيث يظهر تفسيره توازنًا بين العقل والنقل، بالإضافة إلى تقديم رؤية من خلال تفسيره في تحقيق النهضة الحضارية.

يختتم البحث بالتأكيد على أهمية استلهام تلك الإسهامات في مواجهة تحديات العصر، وإعادة بناء النموذج الحضاري الإسلامي المعاصر.

استخدم الباحث المنهج التحليلي لدراسة النصوص القرآنية التي فسرها الإمام الماتريدي، والمنهج الاستقرائي لاستخلاص الرؤى الحضارية من تفسيره (تأويلات أهل السنة).

وقد تكون البحث من مقدمة، وتمهيد، يضم التعريف بمفردات البحث.

ثم جاء المبحث الأول : والذى يتضمن التعريف بالإمام الماتريدي ومنهجه في التفسير.

ثم المبحث الثاني: والذى يتضمن القيم الحضارية في تفسير الإمام الماتريدي.

ثم جاءت خاتمة البحث، وبها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث، ثم ثبت بالمراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية: إسهام، الحضارة، الإمام، الماتريدي، أنموذجا.

Contributions of the Interpreters and Their Impact on Shaping the Islamic Civilizational Model (Imam al-Maturidi as a Model)

Mahmoud Ahmed Dardir Suleiman
Lecturer, Department of Tafsir and Quranic Sciences, Faculty of Usul al-Din and Da'wah, Assiut University, Al-Azhar University, Egypt.

Email: *Mahmoudsouliman.48@Azhar.edu.eg*

Abstract:

This research aims to explore the contributions of Quranic interpreters in shaping the Islamic civilizational model through their exegesis of Quranic texts. Among the interpreters who made significant contributions to articulating the foundational principles of civilizations in general and Islamic civilization in particular is Imam al-Maturidi, the author of *Tawilat Ahl al-Sunnah* (Interpretations of the People of Sunnah). Imam al-Maturidi was a key figure who contributed greatly to linking the meanings of the Quran with the requirements of civilizational progress.

The value of this research lies in uncovering Imam al-Maturidi's scientific and interpretative efforts, such as his focus on ethics, social relations, unity, cooperation, consultation, and reason, and how these elements contribute to enhancing the unity and prosperity of the Muslim community.

The research examines Imam al-Maturidi's methodology in his interpretation of *Tawilat Ahl al-Sunnah*, revealing a balanced approach between reason and revelation. Additionally, it presents a vision for achieving civilizational revival through his interpretation.

The research concludes by emphasizing the importance of drawing from these contributions to address contemporary challenges and rebuild the modern Islamic civilizational model.

The researcher used the analytical method to study the Quranic texts interpreted by Imam al-Maturidi and the inductive method to derive civilizational insights from his interpretation of *Tawilat Ahl al-Sunnah*. The structure of the research includes an introduction, a preface defining the terms, followed by two sections: the first defines Imam al-Maturidi and his approach to exegesis, and the second discusses the civilizational values found in his interpretation. The research concludes with the main findings and recommendations, followed by a list of references and sources.

Keywords: *Contribution, Civilization, Imam, Al-Maturidi, Model.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد؛؛؛**

لقد شغل الجانب الحضاري حيزًا واسعًا في كتب التفسير، خاصة في التفاسير المعاصرة، حيث قام العديد من المفسرين المعاصرين بتأويل النص القرآني واستخلاص الأحكام والدروس المستفادة منه، وذلك لأن القرآن الكريم يُعتبر الركيزة الأساسية والقاعدة الكبرى التي يُستمد منها التصور القرآني الواضح تجاه القضايا والمتغيرات التي تواجه الأمة، وقد تناول القرآن في العديد من آياته مظاهر الحضارات السابقة ومبادئها الأساسية، كما أشار إلى العوامل والأسباب التي قد تؤدي إلى إنهيار هذه الحضارات وتحولها إلى خراب بعد أن كانت في أوج قوتها.

ومن بين المفسرين الذين قدموا إسهامًا بالغًا في إبراز الأسس الحضارية للأمم بشكل عام، والحضارة الإسلامية بشكل خاص، يأتي الإمام الماتريدي في تفسيره المعروف بـ"(تأويلات أهل السنة)"، فمن يطالع هذا التفسير يلاحظ اهتمامه الكبير بتوضيح الجوانب الحضارية من خلال تحديد الأسس والمنهج، فضلاً عن استعراض العوامل التي تؤدي إلى تدمير الحضارات وكيفية تجنبها.

أسباب اختياري لهذا البحث:

دفعني للكتابة في هذا البحث – بعد إرادة الله –عز وجل–، وتوفيقه، وهدايته لي– عدة أمور:

أولا: تسليط الضوء على العلاقة بين التفسير القرآني وبناء الحضارة الإسلامية، وهو موضوع ذو أهمية كبيرة في السياق الحالي.

ثانيا: إبراز إسهامات الإمام الماتريدي كأحد المفسرين الذين شكلوا رؤية حضارية متكاملة للإسلام.

ثالثا: الحاجة إلى استلهام التجارب التاريخية في بناء النموذج الحضاري الإسلامي لمواجهة التحديات المعاصرة.

منهجي في هذا البحث:

سرت بعون الله في هذا البحث على المنهج الإستقرائي، وذلك لاستنباط الرؤى الحضارية من تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لدراسة هذه الرؤى وتحليلها بدقة وعمق.

وكانت دراستي فيه على النحو الآتي:

أولاً : قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وبيان رقمها .

ثانياً : قمت بتخريج الأحاديث النبوية مع تخريجها من مصادرها الأصلية، فاذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت في الحكم بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يكن في الصحيحين ذكرت حكم أحد العلماء عليه من الأئمة وأهل الحديث.

ثالثا: قمت بالاعتماد على تفسير (تأويلات أهل السنة) كأنموذج رئيسي، لدراسة تفاعل الآيات القرآنية مع قضايا التقدم الحضاري.

رابعا: تناولت بعض القيم والمرتكزات التى تقوم عليها الحضارة عند الماتريدى، موضحا تأثيرها على المجتمع الإسلامي المعاصر، وسبل تطبيقها في الحياة اليومية، لتحقيق نهضة حضارية إسلامية مزدهرة.

خامسا: قدّمت ترجمة شاملة ومتكاملة للإمام الماتريدي .

سادسا: قمت بشرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

سابعا: أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، وأهم التوصيات

ثامنا: قمت بإعداد فهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

خطة البحث :اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، و مبحثين، يسبقهما تمهيد، ثم خاتمة.

أما المقدمة :فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، ومنهجي فيه، وخطة البحث .

وأما التمهيد، فيشتمل على: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الماتريدي ومنهجه في التفسير، (ويشتمل على مطلبين) :

- **المطلب الأول**: اسمه ونسبه – كنيته وألقابه – مولده ونشأته – شيوخه وتلاميذه– مؤلفاته وآثاره العلمية – مصادره في تفسيره – وفاته.
- **المطلب الثاني**: منهجه في التفسير.

المبحث الثاني:القيم الحضارية في تفسير الإمام الماتريدي: ويشتمل على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول**: الأخلاق أساس الحضارة.
- **المطلب الثاني**: الاتحاد سبيل المجد وبناء الحضارات.
- **المطلب الثالث**: الشورى معيار النهضة ومحور التطور الحضاري.
- **المطلب الرابع**: العقل رائد القيم الحضارية وأساس التقدم.

الخاتمة :وهى تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات .

التمهيد

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث

التعريف بمصطلح (إسهامات) :

الإسْـهامُ: علـى وزنِ إفْعـال، ومَعنـاهُ: إعْطـاء سَـهْمٍ – أى نصـيبٍ – مـن أشـياء، فالكلمة مأخوذة من الجذر الثلاثي (س هـ م) وهو الحَظُّ والنَّصِيبُ، يقال: أسهم فلان: شارك أو قسّم حظه مع الآخرين، والسَّهْمُ: وَاحِدُ السِّهام، والسَّهْمُ: النَّصِيبُ، تقول: هَذَا سهمك من هَذَا المَال، أَي نصيبك، فسُمِّي كُلُّ نَصِيبٍ سَهْمًا، وساهمتُ الرجلَ مساهمةً، وتساهمَ الرجلانُ، إذا ضربا بسهميهما ليقتسما، والإسهام: المشاركة في أمر معين، سواء بالعمل أو المال أو الجهد.[1] فهذا الجذر يتضمن دلالات المشاركة، كما يدل على نوع من التفاعل، أو المساهمة في أمر مشترك بين طرفين أو أكثر، مما يجعله ذا ارتباط وثيق بمفهوم الفعل الجماعي أو الفردي الذي يساهم في تحقيق نتيجة معينة.

ويتحول المصدر "إسهام" إلى صيغة الجمع "إسهامات" للدلالة على تعدد المشاركات أو المساهمات، فالكلمة تحمل معنى إيجابيًا، لأنها ترتبط بالمشاركة الإيجابية التي تضيف قيمة إلى العمل الجماعي ، كما تشير إلى الدور الذي يؤديه الفرد، أو الجماعة، في تحقيق غاية سامية، أو مشروع مفيد، ليترك أثرًا حضاريًا في مختلف المجالات.

التعريف بمصطلح (الحضارة):

الحضارة : الْحَاءُ وَالضَّادُ وَالرَّاءُ إِيرَادُ الشَّيْءِ، وَوُرُودُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ، وَقَدْ يَجِيءُ مَا يَبْعُدُ عَنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ وَاحِدًا، والحاضرة خلاف البادية، لأن أهل الحاضرة حضروا الأمصار والديار، ومصطلح حضاري: اسم منسوب إلى الحضارة، وسكون الحضر

(١) لسان العرب (١٢/ ٣٠٨) مادة (سهم) ، الصحاح (٥/ ١٩٥٦) مادة (سهم)، تاج العروس (٣٢/ ٤٣٩) مادة (س هـ م).

الاستقرار، والحضارة أي: الإقامة في الحضر، والمراد أهل الحضارة[١].

قال الجوهري: حَضْرَةُ الرجل: قُربه وفِناؤه، والحَضْرُ: بلدٌ بإزاء مَسكَن، ويقال: كَلَّمته بَحَضْرَةِ فلانٍ وبِمَحْضَرٍ من فلان، أي بمشهدٍ منه، والحَضَرُ أيضاً: خلاف البَدْو، والمَحْضَرُ: السِجِلُّ، والمحضر: المرجع إلى المياه. [٢]

وجاء في القاموس المحيط: وعيش أَهْلُ الْمُدْنِ في حضارة : خِلاَفُ البادِيَةِ، والحَضارَةُ: الإقامَةُ في الحَضَرِ[٣]

وإذا كان أصل الحضارة: الإقامة في الحضر، فإن المعاجم اللغوية الحديثة، ترى أن الحضارة هي: الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، والاقتصادي في الحضر.

وبعبارة أخرى أكثر شمولا تعنى : الحصيلة الشاملة للمدنية، والثقافية، والفكر، ومجموع الحياة، في أنماطها المادية والمعنوية، ولهذا كانت الحضارة هي: الخطة العريضة –كماً وكيفاً– التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة، والحضارات الحديثة والمعاصرة.. ومنها الأطوار الحضارية الكبرى، التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات، من مرحلة إلى مرحلة.[٤] ومن ثم فإن معناها قد توسع عند المؤرخين والباحثين الاجتماعيين حتى صار شاملًا لجميع أنواع التقدم والرقي الإنسانيين؛ لأنهما لا يزدهران إلا عند المستقرين في مواطن العمران. [٥]

والذي يهم هنا هو الحضارة الإسلامية، والتى هي مجموع ما قدمه المسلمون للبشرية من عقيدة وقيم ومبادئ، وثقافة وفكر، ونتاج مادي، وتطبيقي، وعمراني، في مجالات الحياة المختلفة.

---

(١) ينظر: العين الفراهيدي ١٠١/٣، مقاييس اللغة ٢/ ٧٥ – ٧٦ مادة(حضر).

(٢) الصحاح (٢/ ٦٣٢) مادة(حضر).

(٣) القاموس المحيط (ص: ٣٧٦) باب الراء– فصل الحاء.

(٤) الحضارة الإسلامية للمؤلف:أحمد عبد الرحيم السايح ص ٧٠.

(٥) ينظر: الحضارة الإسلامية عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (ص: ١٩– ٢٠).

و"إسهامات المفسرين في التقدم الحضاري" تعنى الجهود العلمية والفكرية التي بذلها المفسرون في تسليط الضوء على مزايا الحضارة الإسلامية، وبيان سبل إزدهارها ورقيها، مع التحذير من عوامل الإنحلال، والتراجع التي قد تهدد كيانها، وقد تحقق ذلك من خلال استنطاق آيات القرآن الكريم، واستخراج كنوزه الدفينة من الأحكام العملية، والحكم البليغة، التي ترسم معالم الحضارة الإسلامية، سواء في جوانبها المادية التي تُعنى بتطوير الحياة البشرية، أو في جوانبها المعنوية التي تهدف إلى تهذيب النفس، وإقامة العدل، وتحقيق التكافل بين أفراد المجتمع.

المبحث الأول

التعريف بالإمام الماتريدي ومنهجه في التفسير

المطلب الأول

اسمه ونسبه - كنيته وألقابه - مولده ونشأته - شيوخه وتلاميذه- مؤلفاته وآثاره العلمية –مصادره في تفسيره- وفاته

أولا- اسمه ونسبه:

هو الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي[١] السمرقندي الأنصاري ، وعرف بالماتريدي نسبة إلى ماتريد[٢] وهي محلة قريبة من سمرقند وولد بها الإمام أبو منصور[٣]، وكذلك عرف بالسمرقندي لشهرة سمرقند وأهميتها[٤]، والأنصاري لأن البعض ينسبه إلى أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، مضيف النبي الأكرم –صلى الله عليه وسلم– في دار الهجرة[٥]، وقيل: إن مصدر نسبة الأنصاري إنما يرجع إلى نصرته لأهل السنة ومخالفته للمذاهب الأخرى، ورجح الدكتور أحمد الدمنهوري في كتابه "سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور الماتريدي"[٦] أن أصله فارسي، وليس عربيًا

---

(١) ينظر ترجمته في: الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية٣/٣٦٣، الفوائد البهية في تراجم الحنفية تأليف اللكنوي ص١٩٥، إشارات المرام من عبارات الإمام تأليف الشيخ كمال الدين البياضي ص١١.

(٢) ماتريد: محلة من حائط سمرقند، ويقال لها أيضًا: (ماتريت)، وخرج فيها جماعة من العلماء والفضلاء، ينظر الأنساب للسمعاني ٥/١٥٥.

(٣) ينظر: الفوائد البهية ص١٩٥.

(٤) ينظر: الجواهر المضيئة (٣/٣٦٠-٣٦١) ، معجم البلدان (٢/٢٤٦).

(٥) مقدمة كتاب التوحيد، تحقيق: بكر طوبال أوغلي والدكتور محمد آروشي، دار صادر بيروت، ٢٠٠١، ص١٠.

(٦) سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور الماتريدي، للدكتور/أحمد سعد الدمنهوري، ص١١٠.

أنصاريًا كما ذهب إلى ذلك الإمام محمد أبو زهرة[١]، وهو من أبرز الأئمة وعلماء أهل السنة والجماعة، وكان له دور مهم في شرح عقيدة أهل السنة بالمنطق والعقل، والرد على البدع والضلالات وذلك لأنه كان من كبار علماء الكلام[٢].

ثانياً- كنيته وألقابه:

يُكْنَى بأبي منصور، وكناه "أحمد بن محمد الأدنه "صاحب طبقات المفسرين بأبي النصر[٣] بدلًا من أبي منصور، ولم أجدها عند غيره، وقد لقبه أصحابه بألقاب كثيرة، فلقبوه بإمام الهدى[٤] وعلم الهدى، وإمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين، ورئيس أهل السنة، وقدوة أهل السنة والاهتداء ورافع أعلام السنة والجماعة بوقائع وقالع أضاليل الفتنة والبدعة، ومحيي الشريعة ، وموطد عقائد أهل السنة[٥].

ثالثًا- مولده ونشأته:

لم تفصح كتب التراجم عن حياة الماتريدي رحمه الله – فلم تأت على ذكر مولده ونشأته، وتفاصيل حياته، ومن ثم فلم يستطع المترجمون التحديد بدقة السنة التي ولد فيها أبو منصور الماتريدي إلا أنهم رجحوا أنه ولد في العقد الرابع من القرن الثالث الهجري[٦].

رابعا- أشهر شيوخه وتلاميذه

شيوخه: من بين أهم الشيوخ التي تتلمذ على يديها الإمام الماتريدي هم :

---

(١) ينظر: أعلام وعلماء، مقالات للشيخ أبي زهرة ص٢١٦.

(٢) ينظر: إشارات المرام ص ٢٣.

(٣) طبقات المفسرين ص٦٩.

(٤) هذا أكثر ألقابه شهرة، ينظر: الجواهر المضية ٣/٣٦٠.

(٥) ينظر: كتاب التوحيد للماتريدي ص ٧-٩ ، الفوائد البهية ص ١٩٥.

(٦) ينظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي – تحقيق: محمد مستفيض الرحمن، اعتناء : جاسم الجبوري، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٨٣ ، ص ٦٩٣.

-أبو نصر أحمد بن العياضي: الفقيه السمرقندي ، من علماء الأنصار، ذكره الإدريسي في تاريخ سمرقند وقال: كان من أهل العلم والجهاد، ولم يكن أحد يضاهيه ويقابله في البلاد لعلمه وورعه وكتابته وجلادته وشهامته إلى أن استشهد نور الله ضريحه، حكي أنه لما استشهد خلف أربعين رجلا من أصحابه كانوا من أقران أبي منصور الماتريدي(١).

-أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني: عالم بارز في القرن الثالث الهجري، تتلمذ على يد أبي سليمان الجوزجاني، وبرع في علوم متنوعة، ومن مؤلفاته "كتاب الفروق والتمييز" و"كتاب التوبة(٢)

- محمد بن مقاتل الرازي: قاضي الري، كان مُقَدَّمًا في الفقه، روى عن سفيان بن عيينة، وأبي معاوية، ووكيع، وابن فضل، من أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، صنف كتاب (المدعي والمدعى عليه)، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين (٣).

- نصير بن يحيى البلخي: تفقه على أبي سليمان الجوزجاني، عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة توفي ٢٦٨هـ(٤).

-أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهجيمي: النحوي الأعرابي، أقام في سمرقند، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذًا للشيخ أبي منصور الماتريدي في الأدب" (٥).

---

(١) الجواهر المضية ١/١٧٧-١٧٨، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ص٢٣.

(٢) الجواهر المضية ١/١٤٥، طبقات الحنفية لابن الحنائي، ص٣٢٠.

(٣) الجواهر المضية ١/١٤٥.

(٤) الجواهر المضية ٢/٢٠٠، الفوائد البهية، ص٢٢١.

(٥) ينظر: سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور، ص١٣٢.

تلاميذه: أما عن أهم التلاميذ الذين تتلمذوا على يديه واستقوا منه العلم فهم:

- أبو القاسم إسحاق بن محمد السمرقندي: القاضي الحكيم ، تولى قضاء سمرقند، وأخذ الفقه والكلام عن الماتريدي، وكان من أشهر تلاميذه، ومن آثاره كتاب "الرد على أصحاب الهوى" (السواد الأعظم)، وتوفي في شهر المحرم يوم عاشوراء سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة بسمرقند .(١).

-علي الرستغفني: من كبار مشايخ سمرقند له كتاب إرشاد المهتدي، وكتاب الزوائد والفوائد، له ذكر في الفقه والأصول في كتب الأصحاب، من أصحاب أبي منصور الماتريدي، توفي سنة ٣٤٥هـ(٢).

-عبد الكريم أبو محمد الفقيه البزدوي(٣): أخذ عن الماتريدي عن أبي بكر الجوزجاني عن أبي سليمان عن محمد، توفي سنة ٣٩٠هـ(٤).

خامسا- مؤلفاته وآثاره العلمية:

برز الإمام الماتريدي – رحمه الله – كعلم من أعلام علم الكلام، واشتهر فيه، لكنه كان أيضًا فقيهًا، مفسرًا، وأصوليًا جمع بين علوم شتى، مما أهّله لمرتبة رفيعة ومكانة سامية، وقد خلف إرثًا علميًا زاخرًا يتوزع على ثلاثة مجالات رئيسية وهى:

أولا : **مجال التفسير** : وفيه صنف تفسيره المسمى " تأويلات أهل السنة ".

ثانياً : **مجال علم الكلام** : وفيه ألف كتبا كثيرة منها : – كتاب "التوحيد" قرر فيه معتقده ، ووضح فيه أهم المسائل الاعتقادية ؛ لذلك صار مرجعاً أساسياً في معرفة

---

(١) الجواهر المضية، ٣٧١/١-٣٧٢، ترجمة رقم (٣٠١)، الأعلام للزركلي، ٢٩٦/١.

(٢) الجواهر المضية ٤٦٢/١، الأعلام للزركلي ٢٩١/٤.

(٣) البزدوي: نسبة إلى بزدة، ويقال لها بزدوه، والنسبة إليها بزدي، قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف. ينظر: معجم البلدان ٤٠٩/١.

(٤) الفوائد البهية تأليف : اللكنوي ص١٠١.

العقيدة الماتريدية ، وله كتاب (المقالات) ، ويعد من أقدم كتب المقالات؛ وذلك لتقدم مؤلفه، وله كتاب (بيان وهم المعتزلة)، وكتاب (رد تهذيب الجدل للكعبي) وكتاب (رد وعيد الفساق) وكتاب (رد أوائل الأدلة) وكتاب (رد الأصول الخمسة لأبي عمر الباهلي) وكتاب (الرد على القرامطة) وكتاب (رد تهذيب الجدل)، وكتاب (رد الإمامة)، ذكره النسفي باسم رد كتاب الإمامة لبعض الروافض[1].

ثالثاً : **مجال الفقه وأصوله** : وفيه ألف كتاب مأخذ الشرائع في أصول الفقه، وكتاب الجدل في أصول الفقه، هذه هي تركة الماتريدي العلمية، ولعل أشهر ما لديه بين أيدي الناس اليوم كتابان هما: كتاب التوحيد، وهو في باب العقيدة، والآخر كتاب تأويلات أهل السنة في التفسير ، وهو الذي بين أيدينا اليوم نستقي من معينه، ونقف على منهجه.

سادسا : **مصادره في تفسيره**:

اعتمد الإمام الماتريدي – رحمه الله – في تفسيره للقرآن الكريم على مصادر متنوعة، مستفيدًا من أقوال السابقين من الصحابة والتابعين بمختلف طبقاتهم واتجاهاتهم، فقد نسب العديد من الأقوال إلى بعض الصحابة المشتهرين بالتفسير، كابن عباس، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعائشة – رضوان الله عليهم أجمعين، كما استند إلى أقوال التابعين – لا سيما المشتهرين منهم بالتفسير – كالضحاك ، ومجاهد ، والشعبي ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهري ، والسدي ، والكلبي، ومقاتل وغيرهم ، ومن ثم تميز تفسيره بجمعه بين أقوال السلف والخلف، مما جعله يتصف بالشمولية حتى صدق على تفسيره عنوانه "تأويلات أهل السنة".

(١) تبصرة الأدلة في أصول الدين تأليف: أبو المعين النسفي ٥٥٦/١.

ومن المفسرين الذين أكثر من الاعتماد عليهم والرجوع إليهم:

-أبو عوسجة توبة بن قتيبة الهجيمي النحوي الأعرابي، قال صاحب كتاب القند: "دخل سمرقند وأقام بها، وكان يذهب مذهب أبي عبيدة معمر بن المثنى في باب الأدب، كان أستاذًا للشيخ أبي منصور الماتريدي في الأدب" [١]،

-أبو بكر الكيساني[٢]، وقد صرّح بالنقل عن تفسيره في مواضع عدة ، منها: قوله: وبه قال أبو بكر الكيساني في تفسيره[٣] وتراه مرة يقول قال: (الكيساني)، وتارة يقول قال: (أبو بكر)، وقد أفاد منه في القراءات[٤]

-الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، نقل عنه في التفسير والقراءات[٥]

-الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، وقد أفاد من تفسيره "معاني القرآن" في التفسير والقراءات[٦]

-الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، وقد اعتمد عليه في النحو والقراءات [٧].

---

(١) ينظر: القند في أخبار سمرقند، نجم الدين النسفي ص ١١٥-١١٦، سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور، ص١٣٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم، فقيه معتزلي مفسر، من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم... وله (تفسير) وصف بأنه عجيب ... وقال القاضي عبد الجبار : كان جليل القدر يكاتبه السلطان" توفي نحو (٢٢٥هـ)، يُنظر : لسان الميزان ٣/٤٢٧ ، والأعلام ٣/٣٢٣.

(٣) يُنظر على سبيل المثال: تأويلات أهل السنة (٣/ ٥٨٠).

(٤) يُنظر على سبيل المثال: تأويلات أهل السنة (٤/ ٢٢٠).

(٥) يُنظر على سبيل المثال: تأويلات أهل السنة (٢/ ٤١٦).

(٦) يُنظر على سبيل المثال: تأويلات أهل السنة (٣/ ٢٦٤).

(٧) يُنظر على سبيل المثال: تأويلات أهل السنة (٧/ ١٢٩).

-أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد نسب إليه أقوالا عدة[١]

-أبو معاذ النحوي[٢]: أكثر الاعتماد عليه في القراءات وتوجيهها، وله كتاب في القراءات اسمه: القراءة، وذكر صاحب الفهرست أن اسم تفسيره معانى القرآن[٣]

بهذا التنوع في المصادر، يظهر تفسير الماتريدي غنياً بمصادره التفسيرية وجامعاً لتأويلات أهل السنة.

سابعا: وفاته :

اتفقت أغلب مراجع الترجمة للماتريدي –فيما أعلم– أنه توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة، إلا ما وقع عند البعض أنه توفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[٤]، والصحيح هو الأول، وهو ما أجمع عليه أصحاب الطبقات وهو أنه مات سنة ٣٣٣هـ [٥] رحمه الله رحمة واسعة.

(١) يُنظر على سبيل المثال: تأويلات أهل السنة (٣/ ٤٥٣).

(٢) الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة: روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم روى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده، مات سنة إحدى عشرة ومائتين، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (٥/ ٢١٧٧)

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣٧

(٤) كشف الظنون لحاجي خليفة ٢٦٢/١، ٥١٨.

(٥) الجواهر المضية ١٤٥/١.

المطلب الثانى

منهجه في التفسير

يعد الماتريدي واحدًا من أكابر المفسرين والأئمة المجتهدين الذين أضاءوا الحضارة الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر[١]، جمع بين الفقه وأصوله والتفسير وعلم الكلام، مما رفع مكانته بين العلماء، ومن بين أشهر مؤلفاته في التفسير تأويلات أهل السنة، الذي وُصف بأنه لا يوازيه كتاب آخر، بل لا يدانيه شيء من تفاسير من سبقه في ذلك الفن [٢]،حيث قدم في مدونته الكبرى "تأويلات أهل السنة" رؤية تفسيرية دقيقة للقرآن الكريم، جمع فيها بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ملتزمًا بالوسطية بين النقل والعقل ؛ ذلك أنه " استجمع شرائط مدرستي النقل والعقل؛ حيث إنه استند في تفسيره على المأثور كما استند على المعقول، وهذه سمة بارزة عنده، ليس في هذا التفسير فقط، بل في جميع مؤلفاته، فقد رأى خطأ الوقوف عند حد النقل، أو المغالاة في الجانب العقلي، فالموقف العدل –عنده– هو التوسط بينهما، وذكر أن من دواعي استحسان هذا الموقف الوسط هو قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ووسطية الماتريدي قائمة على رد كل ما لا يتفق مع أهل السنة من المعتزلة، والمجسمة، والمشبهة، وغيرهم، وتقرير عقائد أهل السنة في أثناء تفسيره بالأدلة العقلية والنقلية"[٣].

---

(١) النهر: هو نهر جيحون، أطلق العرب المسلمون على تلك المنطقة اسم "بلاد ما وراء النهر" عندما فتحوا تلك المنطقة في القرن الهجري الأول إشارة إلى النهرين العظيمين الذين يحدّانها شرقا وغربا: نهر سيحون (٢٢١٢ كم) ونهر جيحون (١٤١٥كم)، وينبع نهر جيحون من جبال باميان في أفغانستان ويجري النهر عبر أفغانستان وتاجيكستان وأوزباكستان، ويصب نهر جيحون أيضًا في بحر الآرال. ينظر: الفوائد البهية، ص١٩٥، ويكبيديا الموسوعة الحرة. *https://ar.wikipedia.org*،

(٢) الجواهر المضية ٣/٣٦٣.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة ١/ ٣٠٢.

ركز الإمام منهجه على استنباط المعاني وفق دلائل المنقول وموجبات العقول، رافضًا الغلو في أي من الطرفين ، وتميز تفسيره برد ما لا يتفق مع عقيدة أهل السنة، وبتعزيز الفهم بالأدلة العقلية والنقلية، كما التزم التوقف عند الغيب الذي لا خبر فيه، فنجده يقول في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [محمد: ٢٦]، قوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) إن كان راجعًا إلى قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم ﴾ [محمد: ٢٥] كان المراد بذلك اليهود – فالمعنى فيه غير المعنى لو كان في المنافقين، وإن كان قوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) راجعا إلى قوله: (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ) فإذا احتمل ذلك الوجهين، فلا نفسره أنه إلى ماذا يرجع[1].

واستند الماتريدي إلى البرهان العقلي في ترجيح التأويلات، فنجده يرجح بعض التأويلات وفقا لشهادة العقل، أو استنادًا لدلالة العقول، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [ص: ١٩] حيث يقول: "ومن الناس من يقول: تسبيح هذه الأشياء التي ذكر هو تسبيح خِلقة لا تسبيح نطق وكلام، لكن لو كان على هذا، لكان لا معنى لذكر تسبيحهن مع داود –عليه السلام– بل يكون تسبيحهن مع داود وغيره في كل وقت؛ دل أنه على تسبيح النطق، وإن كان على الصلاة، فهو ألا يجوز الصلاة لأحد حتى تشرق الشمس وترتفع؛ حيث ذكر إشراق الشمس، واللَّه أعلم"[2] .

"ومنهج الإمام الماتريدي هو منهج أهل السنة والجماعة، وأقرب المناهج إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين، –رضوان الله عليهم أجمعين–، بشهادة كبار العلماء والمؤرخين، ومن مظاهر الوسطية عنده التوفيق بين العقل والنقل، وتقسيمه

(١) ينظر: المرجع السابق ٩/٢٨٠-٢٨١.

(٢) تأويلات أهل السنة، ٨/٦١٢.

أفعال العباد إلى قسمين: اضطرارية لا يد لهم فيها ولا اختيار، ومكتسبة للخلق بقدرة حادثة "[1]

"وليس موقف الوسط –كما يظن– توفيقًا بين الآراء؛ وأنه يخلو من الابتكار، بل هو قمة الابتكار؛ لأنه يتطلب معرفة كاملة بأحكام النقل والعقل؛ فلابد من معرفة كاملة بالكتاب والسنة، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والأخبار وشروطها، وهذه أحكام النقل، ولابد أيضًا من معرفة أحكام العقل والنظر والتأويل والاجتهاد وإقامة البراهين"[2].

عالج الإمام في تفسيره قضايا اعتقادية وأصولية وفقهية، "فلم يكن تأثره في تأويله ذلك بآرائه العقيدية فحسب، بل إنه مزجها بآرائه الفقهية والأصولية، وآراء أستاذه الإمام أبي حنيفة، فكان بذلك تفسيرًا عقيديًا وفقهيًا"[3]، يستخلص المسائل الفقهية من الآيات؛ فيقرر بها رأي أستاذه وإمام مذهبه الفقهي، ويرد بها في بعض الأحيان على آراء الفقهاء الآخرين[4]، فكان اعتماده على مدرسته الحنفية التي ورث منها الأطر المرجعية للمنهج، والتي كان لها أبرز الأثر في تفسيره ، فكان يستنبط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية، مؤيدًا بها مذهبه الفقهي .

ومن أمثلة ذلك استدلاله لمذهب الحنفية بجواز البيع دون التلفظ، المعروف ببيع المعاطاة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]، أي بئسما اختاروا ما به هلاك أنفسهم على ما به نجاتهم، وفي هذه الآية دلالة جواز البيع بغير لفظة البيع؛ لأنهم ما كانوا يتلفظون باسم البيع، ولكن كانوا يتركون الهدى بالضلالة، وكل من ترك لآخر شيئًا له ببدل يأخذه منه فهو بيع وإن لم يتكلموا بكلام البيع"[5].

---

(١) الوسطية في منهج الإمام الماتريدي، د. أحمد محمد شعبان، ص١٣.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق تأويلات أهل السنة ٣٠٢/١.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق تفسير الماتريدي، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٨/١.

(٤) المرجع السابق، ٢٩/١.

(٥) تأويلات أهل السنة ٣٨٨/١.

الإمام الماتريدي اعتمد في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن، لا سيما في القضايا العقائدية والفقهية، حيث كان يعرض المعنى الإجمالي للآيات، مع الاستشهاد بالتفسير المأثور دون ذكر السند غالبًا، كما يلاحظ أنه عندما يريد الاستشهاد بالحديث النبوي، يذكره بالمعنى غالبا، أو يذكر شطر الحديث أو بعض كلمات منه، ثم يبين ما كان في هذه الآية من آراء للمتكلمين، ويدحض آراءهم بالحجة، ثم ينتصر لمذهبه الذي يتمشى مع اعتقادات أهل السنة والجماعة بأدلته الساطعة من النقل والعقل، مع الإشارة أحيانًا إلى أسباب النزول، كل ذلك على وجه الإيجاز. (١)

كما تميز الماتريدي بحافظة غزيرة وظفها في تفسيره، حيث استشهد بالآيات القرآنية التي تتوارد على المعنى الواحد، وبالأحاديث النبوية، وإن كان في بعض الأحيان يأتي بمعاني تلك الأحاديث دون نصوصها-، اعتمد أيضًا على أقوال الأئمة السابقين، ويرى في القرآن والحديث مستغنى عما سواهما، فاكتفى بهما، ولهذا لم يلجأ إلى الاستشهاد بالأبيات الشعرية كما فعل غيره من المفسرين(٢).

وقد نقل السيوطي والألوسي عن الإمام الماتريدي قوله في التفريق بين التفسير والتأويل: "إن التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله." (٣)، بناءً على هذا المنهج، جاءت تسمية كتابه "التأويلات"، حيث يعكس ذلك رؤيته الدقيقة في ضبط حدود التفسير والتأويل، مما يشير إلى منهجية راسخة ومبحث علمي دقيق.

كما ترك تفسير الإمام الماتريدي أثرًا بارزًا في كتب التفسير، حيث نقل عنه علماء التفسير من المتقدمين والمتأخرين، مثل أبي العلاء السمرقندي (ت٤٥٠هـ) في شرح التأويلات، الذي أثر في كتب الأصول والفقه الحنفي، وظهر تأثيره جليًا في تفسير

(١) ينظر: مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر ص١٩٦.

(٢) ينظر: مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر ص١٩٧.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت٩١١هـ) ١٩٢/٤؛ روح المعاني للألوسي، ٦/١.

الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، وتفسير أبي البركات النسفي (ت٧٠١هـ) مدارك التنزيل، وكذلك في تفسير أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، الذين نقلوا كثيرًا عن تأويلات الماتريدي[١].

وهكذا امتد أثر تفسير الإمام الماتريدي في كتب التفسير والأصول ، مما يؤكد مكانته الريادية في هذا المجال، ويجعل منه أحد أعلام التفسير الذين أسهموا في خدمة النص القرآني بعلم رصين، ومنهج دقيق، هذا المنهج المتميز أكسب تفسيره تكاملًا فريدًا، يتسم بالدقة والابتكار، ويجمع بين الانضباط العلمي والدقة المنهجية، معتمدًا على أسس، وضوابط، وقواعد، وأصول محددة تسلم إلى المطلوب، فهو منهج ممتد يصلح تفعيله والإستفادة منه في عصرنا ... [٢]. ومن ثم يمكن تفعيله والاستفادة منه في فهم النصوص القرآنية ومواجهة التحديات الفكرية المعاصرة.

(١) للمزيد: ينظر: الإمام الماتريدي ومنهج أهل السنة في التفسير، د. أحمد سعد الدمنهوري، من ٦٤٥ – ٦٥٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق بتصرف، ص ٦٦٢–٦٦٤.

المبحث الثاني

القيم الحضارية في تفسير الإمام الماتريدي

المطلب الأول : الأخلاق أساس الحضارة

بين الإمام الماتريدي في تفسيره الفهم العميق لدور القرآن في بناء مجتمع متوازن أخلاقيًا وحضاريًا، حيثُ قدم هداية شاملة ترشد الإنسان في جميع جوانب حياته، فذكر في تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ [الإسراء: ٩]، قائلا : إن هذا القرآن وغيره من كتب اللَّه هدى ورحمة، يدعو إلى ثلاث خصال: إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال ومصالحها، وينهى عن مساوي الأعمال، وداني الأمور، وسوء الأخلاق ودناءتها؛ فهو هدى ورحمة على ما أخبر لمن استهدى به، ورشد لمن استرشد(١).

من هنا يبرز الإمام الماتريدي في تفسيره دور القرآن في بناء الأخلاق كأساس حضاري، من خلال توضيحه أن القرآن يدعو إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال التي تحقق مصالح الفرد والمجتمع، ويرى أن القرآن لا يقتصر على توجيه الإنسان للخير، بل ينهى أيضًا عن سوء الأخلاق ودناءتها، ومساوي الأعمال، مما يجعله هدى ورحمة لمن يلتزم بتعاليمه، بهذا يظهر الماتريدي أن الإلتزام بالأخلاق القرآنية ينهض بالمجتمع، ويحقق التقدم الحضاري، حيث تصبح الأخلاق وسيلة لتهذيب النفس، وتنظيم العلاقات الإنسانية، وبناء مجتمع يسوده العدل والإحسان.

وقد ذكر الله سبحانه الأثر العظيم لهذا القرآن، الذي يعد وصفا ملازما له، فقال تعالى (يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) حيث تعني "أقوم" أعدل، وأهدى، وأكثر استقامة ويترك تقدير المحذوف في الآية مفتوحًا ليشمل كل ما هو خير في ذاته ودلالته: من شريعة تهدي

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (٧/ ١٢).

للاستقامة، وملة التوحيد، ومناهج الخير التي تهدي الإنسان في مسالك حياته، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع أو الإنسانية جمعاء [1].

وفيه إيماءٌ إلى ضمانِ سلامةِ أُمةِ القرآنِ مِن الحيدةِ عن الطريقِ الأقومِ؛ لأنَّ القرآنَ جاء بأسلوبٍ مِن الإرشادِ قويمٍ، لا يحولُ دونَه ودونَ الولوجِ إلى العقولِ حائلٌ، ولا يغادرُ مسلكًا إلى ناحيةٍ من نواحي الأخلاقِ والطبائع إلا سلكه إليها تحريضًا أو تحذيرًا، بحيث لا يعدمُ المتدبرُ في معانيه اجتناءَ ثمارِ أفنانِه، وبتلك الأساليبِ التي لم تبلُغْها الكتبُ السابقةُ كانت الطريقةُ التي يهدي إلى سلوكِها أقومَ مِن الطرائقِ الأُخرَى، وإن كانت الغايةُ المقصودُ الوصول إليها واحدةً[2]، ومن ثم فإن القرآن الكريم يقدم منهجًا متكاملًا للحياة، حيث يربط بين تهذيب النفس وإصلاح المجتمع، ويهدي الإنسان إلى أعدل السبل في كل شؤونه.

هذه الرؤية توضح أن القرآن ليس فقط مصدراً للعبادة، بل هو دليل عملي لبناء حضارة تقوم على الأخلاق والإنجازات، كما أوضح ذلك فى تفسير قوله تعالى :

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، حيث قال الماتريدى في تفسيرها: لكم في التأسي برسول اللَّه الاقتداء والقدوة به، فهو يخرج على وجوه:

أحدها: أي لقد كان لكم في رسول اللَّه قبل أن يبعث رسولا، وقبل أن يوحى إليه فيما عرفتموه من حسن خلقه، وكرمه، وشرفه، وأمانته – أسوة حسنة؛ فكيف تركتم اتباعه إذا بعث رسولا؟!

(١) يُنظر: زهرة التفاسير بتصرف (٨/ ٤٣٤١)

(٢) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير ١٥/ ٤٠.

والثاني: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) أي: صار لكم فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -إذا بعث رسولا- أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فيما أنزل إليه وأوحي إليه، وفيما شاهدتموه من حسن خلقه وكرمه؛ فالواجب عليكم أن تتأسوا به.

والثالث: لقد كان لكم بالمؤمنين أسوة استوائهم لو اتبعتم ما شرع لكم رسول الله ﷺ وسن[1].

فالإمام الماتريدي في تفسيره لهذه الآية يبرز الأخلاق كأساس حضاري من خلال دعوته للإقتداء بالنبي ﷺ في جميع أحواله، سواء قبل بعثته أو بعدها، حيث أشار إلى أن النبي ﷺ كان أنموذجًا للأخلاق الكريمة كالأمانة، والكرم قبل البعثة، مما يُلزم المؤمنين باتباعه بعد أن أصبح رسولًا يحمل الشريعة.

كما أوضح أن أخلاق النبوة ليست مجرد فضائل فردية، بل هي منهج حياة وشريعة، تُبنى عليها العلاقات الاجتماعية، والتشريعات الحضارية، ومن ثم فإن التأسي بالنبي ﷺ في أخلاقه وأفعاله يُعد دعامة أساسية في بناء مجتمع قوي ومستقر، تسوده القيم الأخلاقية، لأن الأخلاق تعزز العلاقات الإنسانية، وتجعل المجتمع أكثر تماسكًا وازدهارًا.

فهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين [2]، وهذا التأسي يشمل أخلاقه الكريمة، كثباته واطمئنانه في الشدائد ، وصبره على البأساء والضراء دون أن يضعف أو ينهار ، فلا يخور في شديدة ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة[3]، فالنبي ﷺ هو الأنموذج الأمثل لكل فضيلة، و قد دلت

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٦٨).

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٥٠)

(٣) يُنظر: محاسن التأويل بتصرف (٨/ ٥٧).

الآية الكريمة على فَضلِ الاقتِداءِ بالنَّبيِّ ﷺ ، وأنَّه الأُسوةُ الحَسَنةُ لا مَحالةَ[1]، فبأخلاق النبي ﷺ وأفعاله، يجد المسلمون منهجًا عمليًا لبناء مجتمع قوي تسوده القيم الأخلاقية السامية.

وقد ذكر الماتريدى فى تفسيره- أيضا- ما يوضح رؤيته الشاملة لأهمية الأخلاق كأساس حضاري وأنها قابلة للتهذيب، فقال فى تفسير قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ...الآيات﴾ [المعارج: ١٩] ففي هذه الآيات إنباء أن الإنسان خلق على هذه الأحوال: قتورا عجولا، هلوعا، فلما أنشئ على حب ما ينفعه، وبغض ما يكرهه، ويتألم به، علم أنه خلق على هذه الأحوال؛ للمحنة، فمن تذكر فيما وعد اللَّه تعالى من النعم لمن قام بوفاء ما أمره به، حمله ذلك على التسارع في الخيرات، وترك ما يحبه في الدنيا؛ لينال الموعود في الآخرة؛ إذ هو في الأصل أنشئ محبًا لما يتلذذ به، ومن تذكر ما أوعد من العذاب بما يعطي نفسه من الشهوات من معاصي اللَّه تعالى، وبما يمنع من حقوق اللَّه تعالى الواجبة في ماله، سهل عليه ترك الشهوات، وخف عليه بذل ما طلب منه؛ لئلا يحل به ما ينغص بعيشه من الآلام والأوجاع والمكاره.

والأصل أن الإنسان وإن كان مطبوعا على هذه الأخلاق الذميمة من البخل، والإقتار، والعجلة، وجبل عليها، فقد ملك رياضة نفسه، ويمكنه أن يستخرجها من تلك الطباع الذميمة إلى أضدادها من الأخلاق الحميدة، والشمائل المرضية؛ فلزمه القيام بذلك؛ ألا ترى أنه يتهيأ له أن يقوم برياضة الدواب والسباع، فيخرجها بالرياضة عن طباعها التي أنشئت عليها من النفار عن الخلق، والامتناع عن الانقياد، حتى تصير منقادة للخلق، ذليلة لهم، فيتهيأ لهم الاستمتاع، والتوصل إلى منافعها، فكذلك الإنسان إذا قام برياضة نفسه أمكنه أن يستخرجها عن خلقها؛ فتصير مطيعة له، ويخف عليها بذل ما يطلب منها، ويسهل عليها تحمل ما كان يشتد عليها.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٣٠٣/٢١.

ثم الأصل: أن المرء وإن جبل على حب ما يتلذذ به، وبغض ما يتألم ويتوجع منه، فقد جبل أيضا على ترك ما هو فيه من اللذة؛ للذة هي أعظم منها، وعلى التصبر لاحتمال الأذى والمكروه؛ ليتخلص عما هو أعظم من ذلك المكروه والألم، وإذا كان كذلك فهو إذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة، وأقرب اللذتين بأبعدهما، فرأى لذة الآخرة أعظم وأبقى، خف عليه ترك أقربهما لأبعدهما وأقلهما لأكثرهما، وإذا قابل مكروه الدنيا بمكروه الآخرة، وعذابها بعذاب الآخرة، فرأى عذاب الآخرة أشد وأبقى، خف عليه تحمل المكاره في الدنيا؛ فهذا السبب الذي ذكرنا ما يتوصل به إلى رياضة النفس[1].

فهو يرى أن الإنسان خُلق بطبيعة تحمل صفات مثل البخل، والعجلة، وحب الذات، وهي صفات قد تكون مذمومة إن تُركت دون تهذيب، لكنه يبرز أن تهذيب النفس ممكن وضروري، وهو واجب ديني وإنساني يحقق الكمال الإنساني، ومن ثم شبّه تهذيب النفس بترويض الحيوانات البرية، مشيرًا إلى إمكانية تحويل الطبائع السلبية إلى خصال إيجابية بالصبر والمثابرة، مما يجعل الإنسان قادرًا على التحكم في غرائزه واستثمارها لصالح الآخرين، كما ربط الماتريدي الأخلاق بالمصير الأخروي، مما يعزز شعور المسؤولية لدى الفرد، ويرسخ قيمة العمل الفردي والجماعي في بناء الحضارة.

فالأخلاق كما يراها الإمام، تعد منهجا قويما لتحرير النفس من النقائص وتحقيق الكمال، حيث إنها تُخرج الإنسان من سلبياته، وتؤهله للمساهمة في تحقيق التوازن بين رغباته ومصالح المجتمع، بهذه الرؤية، تصبح الأخلاق القاعدة التي تُبنى عليها العلاقات الإنسانية السليمة، والأساس الذي يضمن استدامة الحضارة، وقدرتها على مواجهة التحديات، وتحقيق التقدم.

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة (١٠/ ٢٠٥).

المطلب الثانى

الاتحاد سبيل المجد وبناء الحضارات

الإمام الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة، يُبرز الاتحاد، ونبذ التفرق، كعاملين حاسمين في بناء الأنموذج الحضاري الإسلامي، حيث يرى أن الوحدة الإسلامية ليست فقط قيمة دينية، بل ضرورة حضارية تضمن للأمة قوتها، واستقرارها، واستمراريتها، ومن خلال تفسيره للآيات القرآنية التي تدعو إلى الاعتصام والاجتماع، يقدم رؤية واضحة لأثر الاجتماع والاتحاد في تشكيل حضارة متماسكة ومزدهرة.

فعند تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا....الآية﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، قال الماتريدي: وقوله: { وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا} اختلف فيه؛ قيل: حبل اللَّه؛ يعني: القرآن، وهو قول ابن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، وعن ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: " حبل اللَّه: الجماعة، وإنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها "، أمر بالكون مع الجماعة، ونهي عن التفرق؛ لأن أهل الإسلام هم الجماعة؛ ألا ترى أنه قال في آية أخرى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣] وصف أهل دين الإسلام بالجماعة، وأهل أديان غيرها بالتفرق، وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أيضًا- قال: حبل اللَّه: الجماعة ، ثم ذكر عدة روايات منها قوله: ورُوي في بعض الأخبار أن رسول اللَّه ﷺ قال: " مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ "[1] يعني: حبل الإسلام...، وقيل: حبل اللَّه: دين اللَّه

(١) الحديث أخرجه الترمذي فى سننه -أبواب الأمثال-بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ (٥/ ١٤٩) ح ٢٨٦٣ وقال:«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، والإمام أحمد فى مسنده (٢٨/ ٤٠٦) ح ١٧١٧٠ حَدِيثُ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، قال المحقق: حَدِيثٌ صَحِيحٌ

والحبل: هو العهد؛ كأنه أمر بالتمسك بالعهود التي في القرآن، والقيام بوفائها، والحفظ لها، ونهى عن التفرق كما تفرقت الأمم الخالية، واختلفت في الأديان، وقوله: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي:بمُحَمَّد ﷺ وقيل: ألّف بين قلوبكم بالإسلام، وقيل: بالقرآن، ولم يكن ذلك للدِّين نفسه، ولكن بلطف من اللَّه منَّ به على أهل دينه، وأخبر أن التآلف بين قلوبهم نعمة؛ لأن التفرق يوجب التباغض، والتباغض يوجب التقاتل؛ وفي ذلك التفاني[١].

فالماتريدي في تفسيره لهذه الآيات يُبرز أهمية الاعتصام بحبل الله كوسيلة للحفاظ على وحدة الأمة وتحقيق استقرارها، فبين أن "حبل الله" القرآن والجماعة، مؤكدًا أن الإلتزام بالوحي، واجتماع الأمة على دين الإسلام، هو السبيل لتجنب التفرق الذي أدى إلى هلاك الأمم السابقة، ويشير إلى أن التمسك بالعهد الإلهي، الذي يتجلى في القرآن وتعاليمه، هو أمر ضروري للإبتعاد عن التشتت والاختلاف.

كما يوضح الإمام أن التآلف بين القلوب نعمة إلهية كبرى منحها الله للمؤمنين، سواء بالإسلام أو بالقرآن، ليجمع شتاتهم ويزيل العداوة بينهم، ويُبرز أن التفرق يؤدي إلى التباغض الذي يفضي إلى التقاتل والتفاني، مما يشكل تهديدًا لإستقرار الأمة ومكانتها الحضارية، وأن اجتماع الأمة يُمثل حصنًا منيعًا لها، بينما التفرق يؤدي إلى زوال الوحدة التي هي مصدر العزة والقوة، فمِن أكبر نِعَم الله على الأُمَّة أنْ يؤلِّف بين قلوبِها بالاجتماعِ وعدم الفُرْقة؛ فاجتماعُ الأُمَّة الإسلاميَّة عِصمةٌ لها، وفي التَّفَرُّقِ زوالُ الوَحْدة التي هي مَعقِدُ العزَّة والقوَّة [٢] ، ومن ثم جاء قوله ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ....الآية﴾ [آل عمران: ١٠٣] تمثيلٌ لهيئة اجتماعِهم والتفافِهم على دِين الله ووصاياه وعهوده بهيئةِ استمساكِ جماعةٍ بحبل أُلقي إليهم من مُنقِذٍ لهم مِن غرَقٍ أو سقوطٍ،

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة ٢/ ٤٤٤-٤٤٦.

(٢) يُنظر: الكشاف ٣١٧/٨، تفسير المنار ١٧/٤-١٨.

فشبَّه الوثوقَ بالله، والاعتمادَ على حمايتِه، بحالِ مَن يُمسِك بحبلٍ وثيقٍ، وقد تدلَّى من مكانٍ عالٍ، فهو آمنٌ مِن انقطاعِه وانبتاتِه(١).

وفي موضع آخر قال عند تفسير قوله تعالى :﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥] قال الماتريدى: وقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ لأن التفرق هو سبيل الشيطان بقوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ والبينات: هي الحجج التي أتى بها، ويحتمل: بيان ما في كتابهم من صفة رسولنا مُحَمَّد – ﷺ ونعته الشريف، ويحتمل: تفرقوا عما نهج لهم اللَّه، وأوضح لهم الرسل؛ فأبدعوا لأنفسهم الأديان بالأهواء، فحذرنا ذلك، وعرفنا أن الخير كله في اتباع من جعله اللَّه حجة له، ودليلًا عليه، وداعيا إليه، ولا قوة إلا باللَّه، (وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) دل هذا أن السبل هى التى يدعو الشيطان إليها(٢).

يرى الماتريدي أن التفرق سبيل الشيطان، حيث يقود الأمة إلى الابتعاد عن منهج الله الذي أوضحه بالبينات من خلال الرسل ، كما يرى أن الفتن والنزاعات تؤدي إلى تفكيك المجتمع، رغم وضوح الحقائق الدينية التي توحدهم، ومعلوم أن الحجج والبينات التي أتى بها النبي ﷺ كانت كافية لتجنب التفرق، لكن الإنحراف عن هذا الطريق يؤدي إلى العذاب العظيم، فهذا التأويل يُبرز أهمية اتباع الوحي، والتمسك بالحق، ونبذ الأهواء كسبيل للحفاظ على الوحدة ومنع التشتت، مما يضمن الاستقرار والنهضة.

كما ذكر – أيضا – عند تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠] قوله : أمر اللَّه – عَزَّ وَجَلَّ – بإصلاح ذات البين بين المؤمنين بقوله: {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...الآية } [الأنفال: ١] ، وأمر بالإصلاح

(١) يُنظر: تفسير البيضاوي ٣١/٢ ، ارشاد العقل السليم ٦٦/٢

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة (٢/ ٤٥١).

بين الطائفتين من المؤمنين إذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾الآية} [الحجرات: ٩] وأمر بالإصلاح بين الآحاد والأفراد بقوله: { فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...الآية} [الحجرات: ١٠] ؛ لأن الإيمان يوجب التآلف، وبالتآلف ندبوا، وإليه دعوا، وبه منَّ اللَّه – تعالى – علينا؛ حيث قال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣] ، وقال في آية أخرى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا...الآية﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، أمر بالتأليف والاجتماع، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وأمر المؤمنين جملة أن يصلحوا ذات بينهم إذا وقع بينهم تنازع، واختلاف، واقتتال ، على ما ذكر واللَّه أعلم[١]

ومن خلال تفسيره للآية الكريمة أظهر الماتريدي أن الأخوة الإيمانية تفرض على المؤمنين التعاون والتكافل، مما يعزز وحدتهم، ويمنع التنازع الذي يؤدي إلى ضعف الأمة وانهيارها، وأوضح أن هذا التآخي يُمكّن المجتمع من تجاوز أسباب التفرق، ويمنح الأمة القوة اللازمة للحفاظ على مكانتها الحضارية ومواجهة الأزمات، كما بين أن وحدة الأمة هي الأساس الحضاري الذي يضمن قوتها، واستقرارها، مؤكدًا أن التماسك والتكاتف هما مفتاح النهضة، في حين يؤدي التفرق، والنزاعات، إلى الفشل والإنهيار.

فالاتحاد ونبذ التفرق ليسا مجرد قيم دينية فحسب، بل هما شرطان أساسيان لبناء الأنموذج الحضاري الإسلامي الراسخ، الذي يقوم على العدل والقوة والتماسك.

(١) تأويلات أهل السنة (٩/ ٣٣٢).

المطلب الثالث

الشورى معيار النهضة ومحور التطور الحضاري

الإمام الماتريدي في تفسيره –تأويلات أهل السنة– سلّط الضوء على مفهوم الشورى كأحد المبادئ الأساسية التي أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية، وقد استنبط من الآيات القرآنية أبعادًا حضارية للشورى، حيث ذكر فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٨] قوله: ذكر بعضهم أن الأنصار كانوا يتشاورون فيما بينهم، ورسول اللَّه ﷺ عنهم غائب، فنزل هذا مدحًا لهم على فعلهم... ثم قال : وأصله: أن اللَّه – جل وعلا – أمر رسوله ﷺ أن يشاور صحابته حيث قال: {﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾...الآيةِ} [آل عمران: ١٥٩] وقال الحسن: ما شاور قوم في أمر قط إلا هداهم اللَّه تعالى لأفضل ما بحضرتهم؛ لأن المشاورة اجتماع العقول والأذهان، وإذا اجتمعت كانت إلى استدراك الحق والصواب أسرع وأبلغ، مما لو انفرد كل عقل بنفسه، واللَّه أعلم(١).

لقد كشف الماتريدي عن عمق الفهم الذي يربط بين التشاور والعمل الجماعي، مستشهدًا بمدح الأنصار، وهو ما يُظهر الشورى كقيمة أخلاقية تُمارس عمليًا؛ لتحقيق الاستقرار والرضا الجماعي، وأوضح أن اجتماع العقول يجعل الوصول إلى الحق أسرع وأكثر دقة، حيث تكمّل العقول بعضها البعض، مما يُضفي على القرارات صفة الحكمة والتوازن، ومن ثم أشار إلى أمر الله للنبي ﷺ بالتشاور مع الصحابة، مبرزًا الشورى كجزء أساسي من القيادة النبوية الحكيمة .

فهذه الآية الكريمة فيها ثناء على المؤمنين بإقامة الصلاة، مما يُبرز مكانتها العظيمة في أعمال الإيمان ، ويجوز أن يكون ذلك تنويهًا خاصًا بجلالتها أو إشارة إلى إقامة خاصَّةً، وإضافةُ اسمِ الجِنسِ قدْ تُفيدُ العُمومَ بمَعونةِ المَقامِ، أي: جَميعُ أُمورِهم

(١) تأويلات أهل السنة (٩/ ١٣٣).

مُتشاوَرٌ فيها بيْنهم. والإخبارُ عن الأمرِ بأنَّه شُورَى مِن قَبيلِ الإخبارِ بالمصدرِ للمُبالَغةِ، كما أن قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ عطف على الصلة، ويُظهر المبالغة في الإخبار بالمصدر، مُبينًا أن التشاور صفة راسخة في شؤونهم العامة والخاصة، وأن قراراتهم تُبنى على التفاهم وتداول الرأى، وقد اشتهر الأنصار بهذه السمة، إذ كانوا يشاورون بعضهم عند نزول الأمور الجسيمة، وكان مِن تشاوُرِهم الذي أَثْنى اللهُ عليهم به تَشاوُرُهم حينَ ورَدَ إليهم نُقباؤُهم، وأَخبَروهم بدَعوةِ محمَّدٍ ﷺ بعْدَ أنْ آمَنوا هم به لَيلةَ العقَبةِ، فلمَّا أَبلَغوهم ذلك اجتمَعوا في دارِ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ رَضيَ اللهُ عنه، فأَجمَعَ رأيُهم على الإيمانِ به والنَّصرِ له، وإذ قد كانتِ الشُّورى مُفضِيةً إلى الرُّشدِ والصَّوابِ، وكان مِن أفضَلِ آثارِها أنِ اهتَدى بسَبَبِها الأنصارُ إلى الإسلامِ؛ أَثْنى اللهُ بها على الإطلاقِ دونَ تَقييدٍ بالشُّورى الخاصَّةِ التي تَشاوَرَ بها الأنصارُ في الإيمانِ، وأيُّ أمرٍ أعظَمُ مِن أمْرِ الإيمانِ، و من ثم أفردت جملة ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ بالذكر؛ لِمَزيدِ الاهتمامِ بالشُّورى، وتَنويهًا بها ، وتأكيدًا على أهميتها في الشأن العام فهمْ يَتداوَلونَ الرَّأيَ فيما نَزَل بهم، ولا يَستَبِدُّ أحَدٌ منهم برَأيِه دونَ الآخَرينَ في الأُمورِ المُشتَرَكةِ بيْنهم(١)، مما يدل على أهمية الشورى في حياة الأمة، فهي ليست مجرد قيمة دينية، بل أداة لتحقيق الرشد والصواب، وهي منهج رباني يُؤدي إلى التماسك المجتمعي واتخاذ القرارات الحكيمة.

كما تناول الماتريدى تفسير قوله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾... الآيةِ} [آل عمران: ١٥٩] موضحا المعنى الذى أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور فيه أصحابه فقال: أمر اللَّه – عَزَّ وَجَلَّ – نبيه – ﷺ – أن يشاور أصحابه في الأمر؛ ففيه وجوه:

أحدها: أنه لا يجوز له أن يأمره بالمشاورة فيما فيه النص، وإنما يأمر بها فيما لا نص فيه؛ ففيه دليل جواز العمل بالاجتهاد.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ١١٢/٢٥-١١٣، تفسير ابن جرير ٥٢٢/٢٠، تفسير ابن كثير ٢١١/٧.

والثاني: لا يخلو أمره بالمشاورة، إما لعظم قدرهم وعلو منزلتهم عند اللَّه، أو لفضل العقل ورجحان اللب؛ فكيفما كان فلا يجوز لمن دونهم أن يسووا أنفسهم بهم، ولا جائز -أيضًا- أن يأمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه، ثم لا يعمل برأيهم؛ دل أنهم إذا اجتمعوا كان الحق لا يشذ عنهم.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: إنما أمر نبيه ﷺ بمشاورتهم في أمر الحرب والقتال... وقيل: أمر اللَّه نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في الأمور، وهو يأتيه وحي السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القومِ، وأن القوم إذا شاورهم بعضهم بعضًا، فأرادوا بذلك وجه اللَّه - عزم الله لهم على أَرْشدِه.

وقيل: إن العرب في الجاهلية كانوا إذا أراد سيدهم أن يقطع أمرا دونهم، لا يشاورهم في الأمر شق عليهم؛ فأمر اللَّه النبي ﷺ أن يشاورهم في الأمر إذا أراد؛ فإن ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لأضغانهم [١].

بذلك أوضح الإمام الماتريدي أن أمر الله للنبي ﷺ بالمشاورة لا يتعلق بالأمور التي ورد فيها نص، بل يتعلق بالقضايا الإجتهادية التي لا نص فيها، مما يؤكد أهمية الإجتهاد في الإسلام، ويفسح المجال للعقلاء؛ لمواجهة القضايا المتجددة، فإذا ورد النص فإنه لا مجال للإجتهاد أبداً مع وجوده، فلا استشارة مثلاً في تحليل الربا بعد أن حرمه الله -سبحانه وتعالى- وما كان لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتجرأ على مخالفة نص من نصوص الشرع القطعية الثبوت[٢] ، كذلك من الأمور التي ليست من مجالات الشورى أصول الدين، والعقيدة، والعبادات، لأن الله سبحانه وتعالى قد تكفل ببيان ما يتعلق بها في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله[٣].

---

(١) تأويلات أهل السنة (٢/ ٥١٦- ٥١٧).

(٢) ينظر: الشورى المفترى عليها : الأمين الحاج محمد أحمد ص ٢٠.

(٣) ينظر: الشورى في الإسلام - فريضة - عبادة - نظام محمد عبد الله الخطيب ص ٤٩. ط ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار التوزيع والنشر الإسلامية - مصر .

كما بيّن أن الشورى مع الصحابة كانت إقرارًا؛ لعظم منزلتهم وعلو شأنهم، ودليلًا على أن الاجتماع على المشورة يؤدي إلى اتخاذ قرارات صائبة، إضافة إلى كونها وسيلة لإشراك الأفراد وتعزيز مكانتهم.

وأشار الماتريدي إلى أن الشورى تمتد لأمور الحرب والقتال، حيث تُظهر بعدها العملي في التخطيط، واتخاذ القرار الجماعي، الذي يعتمد على الخبرة والتجربة،

كما أبرز دور الشورى في إزالة الفوارق النفسية، وتقوية الروابط الاجتماعية، مما يجعلها أساسًا لبناء حضارة متماسكة، وأكد أن النبي ﷺ رسخ الشورى كمبدأ يُقتدى به في كل زمان ومكان، لتصبح قاعدة ثابتة للتعامل مع القضايا المختلفة، ومحورًا للتطور الحضاري الإسلامي.

المطلب الرابع

العقل رائد القيم الحضارية وأساس التقدم

الإمام الماتريدي في تفسيره – تأويلات أهل السنة– أعطى العقل مكانة بارزة، وجعله صنو الشرع وشقيقه، يحاكم إليه المسائل، ويستنبط منه الأصول والفروع على السواء، فقد أكد أن الشرع لا يُفهم إلا بالعقل، ومن ثمّ يصبح العقل أداة لا غنى عنها لفهم النصوص الشرعية، وتوجيه الإنسان نحو القيم الحضارية التي تسهم في بناء مجتمع متقدم ومتماسك.

اعتمد الماتريدي على العقل في توجيه المسائل والرد عليها، فقال: " وقد بينا الفساد من طريق التدبير"[(١)]، وفي موضع آخر قال: "وكذلك من تعدى حَدَّ اللَّه، أو آثر ما يزجره العقل والشرع ، فقد فحش فعله" [(٢)] ، وقول آخر: "إنما يتبع الحجة والسمع وما يستحسنه العقل" [(٣)] ، وقال: "وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] أسباب العلم ثلاثة: العقل، والسنة، والكتاب: يُتفكر ويُنظر بالعقل؛ فيعرف وبيان السنة، والكتاب يبين [(٤)] .

ونرى هنا أن الإمام رتب هذه المصادر بحسب ورودها في الآية الكريمة، وقد رأى في العقل وسيلة لتفسير النصوص، واستنباط القيم التي تعمر الأرض، وتبني الحضارات، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الإنسان عبر التاريخ اجتهد في إعمار الأرض وبناء الحضارة، تسهيلا للحياة، وتوفيرًا للحاجات التي فرضتها متغيرات التاريخ، فبنى، واخترع، وأبدع ما جادت به القرائح عبر العصور.

ومن خلال تفسير الإمام– أيضا– يتضح أن العقل عنده ليس فقط أداة للتفكير

---

(١) تأويلات أهل السنة (٢/ ٢٠٧).

(٢) تأويلات أهل السنة (٢/ ٤٨٨).

(٣) تأويلات أهل السنة (٤/ ٩٧).

(٤) تأويلات أهل السنة (٨/ ٣١٠).

الفردي، بل هو أيضًا ركيزة أساسية لاستمرار الحضارة وتكاملها عبر الزمن، فعند تفسير قوله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ...الآية﴾ [الأعراف: ١٥٧] قال: أي: يحل ما هو طيب في العقل والطبع، ويحرم ما هو خبيث في العقل والطبع جميعًا؛ لأن من الأشياء ما هو مستخبث في الطبع، لم يجعل غذاء البشر فيه، وإنما جعل غذاءهم فيما هو مستطاب في الطبع، بلغ غايته في الطيب، ولا كذلك جعل غذاء البهائم والأنعام؛ هذا محتمل، واللَّه أعلم .

ثم المعروف –الطيبات– لو تركت العقول والطباع على ما هي عليه، لكانت لا حاجة تقع إلى رسول يخبر أن هذا معروف، وأن هذا طيب أو خبيث أو منكر، ولكن تعرف العقول والطباع ذلك كله، لكن يعترض العقول من الشبه، فتمنعها من معرفة ذلك، فاحتاجت إلى رسول يخبر عن ذلك(١).

وهذا الكلام من الإمام الماتريدى يؤكد ابتداء على مكانة العقل كأداة للتمييز بين الحسن والقبح، ومع ذلك فإن العقل محتاج إلى النقل، وأنهما يتعاضدان ويلتقيان لا يختلفان، وأن العقل وإن علا مكانه فإنه بحاجة إلى النقل، لتوضيح الغموض وتحقيق الهداية الكاملة، مما يعكس تفاعل العقل والنقل في رحلة الفهم والإدراك.

كما أوضح الماتريدي أن العقل دليل أساسي وهبه الله للإنسان، ليميز به بين الخير والشر، والحكمة والسفه فقال فى موضع آخر: ثم الأصل أن اللَّه سبحانه جعل العقل جزءًا من عالمه، وجعله دليلًا لأهله في معرفة المساوئ والمحاسن، وعلمًا للتمييز بين الحكمة والسفه، وبين الإتقان والعبث، وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم، والمرغوب فيه من المزجور عنه(٢). وهذا الفهم يُبرز تكامل العقل والوحي في توجيه الإنسان نحو حياة متزنة تُسهم في بناء الحضارة الإنسانية.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٥/ ٥٩).

(٢) تأويلات أهل السنة (٤/ ٤٤١).

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على رسوله المصطفى ونبيه المجتبى.

بعد هذه الرحلة المفيدة في تفسير تأويلات اهل السنة أسجل **أبرز النتائج**:

١- الإمام الماتريدي أظهر توازنًا فريدًا بين العقل والنقل في تفسيره، مما مكنه من تقديم قيم حضارية راسخة.

٢- تفسير تأويلات أهل السنة يتضمن معاني عميقة تسهم في بناء مجتمع متوازن قائم على الأخلاق، والاجتماع، والاتحاد، والتعاون، والعقل، والشورى.

٣- الأخلاق تمثل جوهر الرسالة الإسلامية، وأساس الحضارة.

٤- التنازع والاختلاف يمزقان نسيج الأمة ويهددان كيانها، بينما يمنحها الاجتماع والاتحاد قوة راسخة تعزز استقرارها، وتحفظ مكانتها في مسيرة الحضارة.

٥- الشورى مشاركة مجتمعية تسلم المسيرة مما يجعلها منطلقا للتقدم الحضاري.

٦- العقل أداة لا غنى عنها لفهم النصوص الشرعية، وتوجيه الإنسان نحو القيم الحضارية.

التوصيات

١- تفسير الإمام الماتريدي مصدر مهم لفهم القيم الحضارية الإسلامية.

٢- منهج الإمام الماتريدي في التوفيق بين العقل والنقل إثراء للخطاب الديني المعاصر.

٣- تشجيع الدراسات القرآنية التي تلبي متطلبات العصر من إعادة بناء الأنموذج الحضاري الإسلامي.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث/ محمود أحمد دردير

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم – جل من أنزله.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- الإمام الماتريدي ومنهج أهل السنة في التفسير، د. أحمد سعد الدمنهوري، دار النور المبين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٨م.
- الأنساب للسمعاني، ت(٥٦٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب تأليف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م
- إشارات المرام من عبارات الإمام، الشيخ كمال الدين البياضي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
- أعلام وعلماء، مقالات للشيخ أبي زهرة، جمعها: مجد مكي، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن ٢٠٠٩م.
- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية.
- تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبو المعين النسفي، ت٥٠٨هـ، تحقيق: د.محمد الأنور حامد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠١١م.
- التحرير والتنوير المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر.

- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت: (٧٧٤هـ): المحقق: سامي بن محمد سلامة –الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
- جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة .الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن أبي الوفاء القرشي ت٧٧٥هـ، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٣م
- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم- المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)الناشر: دار القلم- دمشق، –الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م
- الحضارة الإسلامية المؤلف: أحمد عبد الرحيم السايح- الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: ١٩٧٧م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور الماتريدي، الدكتور أحمد سعد الدمنهوري، دار النور المبين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٨م.

- سنن الترمذي، ط دار دار الغرب الإسلامي – بيروت –تحقيق: بشار عواد معروف سنة النشر: ١٩٩٨ م
- الشورى المفترى عليها : الأمين الحاج محمد أحمد، ص ٢٠، ط ١ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة – المملكة العربية السعودية
- الشورى في الإسلام – فريضة – عبادة – نظام محمد عبد الله الخطيب –ط ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر .
- الصحاح المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)تحقيق: أحمد عبدالغفورعطار –دارالعلم للملايين– بيروت ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٩٩٧م.
- العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)المحقق: د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفهرست تأليف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) تحقيق: إبراهيم رمضان– الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ مـ
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي ت١٣٠٤هـ ، مطبعة دار السعادة، ١٣٢٤هـ
- القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي – مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان–ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ.
- القند في أخبار سمرقند، نجم الدين النسفي، تحقيق: يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، إيران، ١٩٩٩م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمربن الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور(المتوفى: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر– بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة–الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
- المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (أحمد الزيات ، محمد النجار)وغيرهما الناشر: دار الدعوة .
- معجم البلدان تأليف شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، بيروت: دار صادر، ط ٢، ١٩٩٥.
- مقدمة كتاب التوحيد، تحقيق: بكر طوبال أوغلي والدكتور محمد آروشي، دار صادر بيروت، ٢٠٠١.
- مناهج المفسرين، مساعد مسلم آل جعفر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، السعودية، ١٩٨٠م.
- الوسطية في منهج الإمام الماتريدي، د. أحمد محمد شعبان، الأستاذ المشارك بجامعة طيبة، المدينة المنورة ١٤٤٠هـ